هذا الشعور مطلقاً . والذي يعمل وعينه على المؤرخ يكون عادة أبطأ من الذي يعمل و يفكر بالذي لم يخلق بعد .

ونحن اذ نقول أن هؤلاء قاموا باعمال أثرت فى الأجيال المقبلة نعني أن التاريخ يتألف سواء أ كان شيئاً أم لم يكن اذ هو لا يتأثر بتأثير الماضى ولا يؤثر على المستقبل ولكن سوف يحفظ التاريخ ذكرى هؤلاء الثلاثة لانهم قاموا بالزعامة فقط أما من وجهة « صنع التاريخ » فسوف لا تكون أعمالهم أعظم شأناً من أعمال الملايين من الأنفس المجهولة التي هي المادة الابتدائية لصناعة التاريخ.

قد يصادف المرء بعض الشخصيات (مثل نابليون والاسكندر) تقوم باعمال شاذة في ظروف خاصة فيخيل اليه أنها تصنع التاريخ بما تأتيه من جلائل الامور بعبقريتها الفردية وتغييرها مجرى الاحوال فى العالم . ولكن الواقع هو ليس كذلك بل حتى هذه الشخصيات النادرة لا تعد هي الصانعة للتاريخ لأنها ليست سوى نتاج المحيط تنشأ بتأثير الحوادث والعوامل التي تسوده.

فعلى حد قول اللورد اننا كلنا من عناصر التاريخ وسوف ندرك هذه الحقيقة كلما نزل واحد من كبار ممثلي دور الحرب العظمى من فوق المسرح .

وهكذا يبقى التاريخ ملازماً لنا فى جميع الادوار يسجل نتائج الحوادث العالمية لا قصصها أو بالأحرى يدون حياة البشر اليومية وما يحيط بها من الاحوال وما يسيطر عليها من العادات والافكار . ونحن وان كنا نستطيع اليوم أن نحكم فيما سيكون له شأناً عظيماً من الحوادث غير اننا لا نستطيع أن نحكم حكماً نزيهاً غير متأثرين بالعاطفة شأن الأجيال المقبلة التي كثيراً ما تحكم بعكس ما نحكم نحن : تكذب ما نصدق وتصدق ما نكذب .

فكم كان جديراً بالمسيل الا تغمط حقوق شهداء تاريخنا وتزعم هذا الزعم الباطل وغاياتها أبعد ما تكون عن غاياتنا وذراعها أنحف من أن يقوى على صنع التاريخ الذي نرتضيه لأنفسنا . ؟

كلمة نقد :

شعر الشيخ مهدى البصير

فى (ديوان المعذرات)

— تتمة المقال المنشور في العدد الماضي —

ثم كيف مزجت العناصر والشعوب بالشعب العربي ؟

ان المؤرخين لعاجزون عن ان يثبتوا لنا ان العناصر التي اظلتها راية الفتح العربي امتزجت بالشعب العربي الامتزاج الصحيح ، اول الامر .

وهذه الشعوب كثيرة . نذكر منها الشعب الهندي ، والاسرائيلي والايراني ، والكردي ، والمصري . ونذكر الترك والبربر ، واهل السودان ومن اليهم . وليس هذا محل احصائها .

فلننظر ، أكان الشعب العربي ، وبتعبير آخر أكانت الطبقة (من الشعب العربي) الحاكمة السائدة ، عقيب الفتح ، تمتزج بالعناصر والشعوب المغلوبة ؟

ان التاريخ يقول لنا : « كلا » : وأنها لتلك استمرت فى الحكم مئات السنين فلما ان تهاونت في امرها وامتزجت اذ ضعفت ، ضاعت وابتلعتها الشعوب تلك فزالت الدولة . وعادت ايران ايرانية ليس فيها من آثار العرب وعاداتهم وتقاليدهم واخلاقهم شيء سوى هذه العقائد الدينية التي طغت عليها وثنية الفرس القديمة ، فكان الى جانب عيد الاضحى وعيد الفطر ، عيد النوروز : والى جانب التوحيد الاسلامى عقيدة الخير والشر والتفريق بين فاعليهما . وأساس هذه العقيدة : « النور والظلمة » قاعدة الدين القديم .

وعادت الشعوب المسيحية فى الاندلس الى تعصبها والى تنصير العرب وابتلاعهم ومحوهم . وقد زالوا منها بعد (٨٠٠) سنة وكأنهم دخلوها أمس يوم الزوال . ولم يتركوا فيها الا بعض القصور ، وكلمات معدودة فى اللغة الاندلسية : (الاسبانية) .

ولنضرب مثلا :

هاهي الهند اليوم ، فيها من الشباب المتعلم على الطريقة الانكليزية والطرائق الافرنجية الاخرى ما يزيد عـــدده على بضعة ملايين ، وفيها كثير من الصحف والكتب الوطنية التى تطبع باللغة الانكليزية . وفيها الشاعر تاغور الذي يقصد بعض قصائده ويخطب خطبه باللغة الانكليزية فيقرؤها مئات الالوف من شباب الهند ، وفيها غاندي الزعيم الوطنى المتعلم في جامعات الانكليز ، يصدر جريدته (الهند الفتاة) باللغة الانكليزية ، ويخطب معظم خطبه بها كذلك .

واننا رغم ذلك كله ورغم كون الحكومة الانكليزية في الهند اقوى واشد مما كانت حكومة العرب فى الاندلس لا نجرأ ان نقول ، بل لا يجرأ اي مؤلف انكليزي ان يقول : « ان الشعب الهندى ممزوج بالشعب البريطانى » فمزج الشعوب بعضها ببعض صعب . ولا يكون ممكناً لا سيما اذا كان احدهما سيداً فى عنفوان مجده وقوته وسؤدده والثاني محكوماً مسوداً واهناً ضعيفاً . وعندما يكون الامتزاج آخر الامر ، يعقبه زوال الشعب السيد ، لان الشعب المسود يبتلعه فيلاشيه .

ولانطيل . فهذه قواعد اجتماعية بسيطة تمتلىء بها الكتب الاجتماعية الحديثة . ونحن في ايرادها هنا نقصد الى تبيان ان قول الشاعر لم يكن صواباً . فان العرب لم يمتزجوا بالشعوب الاخرى المغلوبة ايام قيام امرهم

ودولهم . وانهم حين امتزجوا بها ايام ضعفهم وشيخوختهم زالت دولهم من ديوان الحياة ، واذن فلماذا التغني بذلك الامتزاج ؟ !

* * *

ثم يقول الشاعر منادياً الشعب العربي :

فان كررت ذاك السعى جداً * لتحكمها فسعيك لن يخيبا

لا أدري علام يندفع الشيخ فيروح يعدو في طريق الدعوة الى الفتح؟!

والكاتب الناقد يؤسفه ان يذكر — فى شيء من التألم — ان الشيخ لم يكن جاداً فى نظمه هذا البيت . أنه كان هازلاً . انه كان يتخذنا نحن العرب هزواً . واذا كانت هذه مداعبة ، فهي مداعبة غليظة قاسية .

الشعب العربي محكومة بلاده . والشعب العربي لا تخفق رايته — اليوم — في ممالكه الا وترتفع فوقها رايات أخرى غريبة هي أشد منها تمكناً في الارض وثباتاً . فالشعب المحكوم اذا ما جئته تقول له : « قم افتح بلاد غيرك ، واحكم الشعوب التي كنت تحكمها » تصفعه وتلطمه على وجهه . انه ههنا واهن ضعيف مقرن باصفاده ، فليبدأ نفسه اولاً ياسيدي الشيخ !

لقد ذكرني الشيخ وانا اتلو هذا البيت بجلال خالد الفتى العربي الذي كان يزهو امام الكاتب الهندوي الثوري — في الهند — وهو يعرض عليه — حين بلغه نبأ الثورة العراقية — تلك الصورة الرمزية ، صورة الجندي العربي المجهول ، حامل الراية المربعة الالوان ، المكتوب تحتها :

يقول للعلم الخفاق في يده * في من الارض ما تختار ياعلم

فقال له فى تعجب :

. . . الا ما للعرب وللفتح ، يريدون ان يبغي علمهم اي ارض يشاء ويختارون وهم لم ينقذوا بعد شبراً واحداً من الارض التي يحلون ؟ أو ليس

من المعقول ان يقال له في ارض العرب التي لم تفيئها منذ ستمائة سنة الا اعلام الدول الغالبة ؟ . . .

ولشد ما يضحكنا ان نرانا نلهج بذكر الفتح والطموح الى الاستعمار واستعباد الآخرين ، ونحن ما نزال نشكو ظلم الفاتحين لنا وارهاقهم ايانا . ولا اعلم ، اذا كنا نبرر الفتح ونسوغه لنا ، كيف لا نسوغه لغيرنا ؟ والى اية قاعدة عدل نستند في مطالبتنا باراضينا وبلادنا المفتوحة ؟

ان الشعوب المغلوبة على امرها بعد الحرب كانت تطالب بحقها مستندة الى مبادئ الرئيس ولسن الناطقة بوجوب منح الشعوب حكمها الذاتي واستقلالها ، لان حكم شعب شعباً غيره ظلم تأباه الانسانية وقواعد العدل الامي. فاذا كانت — هذه الشعوب — تطمح الى الاستعمار والى الفتح وهي ما تزال مستعمرة مستغلة (بفتح الغين) فاهون بها ان لا تنال حقاً .

وبعد ، فكيف يكرر الشعب العربي ذاك السعي كما يريد الشيخ ؟ وماهو ذلك السعي ؟

انه كان تأييداً للدين ونشراً له في العالمين ، والتكرار هو اعادة الشيء نفسه فهل يريد منا ان نحمل سيوفنا ، فننفر خفافاً وثقالاً الى حيث تثير الحرب الدينية الثانية ؟

* * *

هذا وفي الديوان كثير من الابيات الجيدة ، وبعض الابيات الاجتماعية التي نخالف الشيخ فيما ضمنها من نظريات . وسندنا احدث النظريات الاجتماعية التي نعتنقها . وسنعود الى الكتابة في الموضوع عند سنوح الفرصة ونرجو الشيخ وفية ونتمنى ان نرى ديوانه الكبير في المستقبل القريب .

بغداد : م . أ .

بغداد ....

بغداد نصف ونصف — فيها حيـــاة فختف
فيها شقاء وبؤس — فيها هناء وقصف
فيها نعيم وعز — فيها هوان وخسف
فيها بذار وهدر — فيها اهتضام وحيف
يهنى هناك مئات — من حيث ينكب الف
فالحكم لهو وعبث — والعدل جور وعسف
يجبى قوى سفيه — حقوق من فيه ضعف
تدبر فيها القضايا — على اعوجاج أكف
فالعرف نكر وبدع — والنكر بالعكس عرف
فيها الوراء أمام — فيها التقدم خلف
ان قلت كيف؟ ومن ذا — بذا قضى؟ قيل (كيف)
وان تطالب بعدل — قالوا لجاج وسخف
وان شكوت اهتضاما — دهاك كيد وعنف
او رمت اثبات حق — عراك نبذ وحذف
وغاية الرفق فيهم — وعد وخلف و (لهف)

.....

على الحقيقة ويلي ! — عليك ياعدل لهف ! !
فلا حماه نظام — ولا اجارته محف
واكبر الناس ضيما — اعفهم فالاعف
قوم عطاش وقوم — لهم من الري غرف
فليس غير عيان — يحيط بالحال وصف

فاضل الصيدلي